العدد 5 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية آيار 2024
No. 5 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences May. 2024
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

السّياقُ وأثره في التّواصلِ اللغويّ

م.م.نبراس علي شيّال
جامعة القادسية/كلية التربية للبنات
Nebraas.ali@qu.edu.iq

2024م

الملخص

يتناول هذا البحث مظهراً من مظاهر اللغة العربية وهو (السياق) والمراد به المحدد في فهم المعنى من خلال تأثيره على العملية التواصلية بأركانها الثلاثة، إذ يقف على مكوّنات السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغويّ من خلال البحث في المستويات اللغوية أو المكونات الأساس للغة وعلاقتها بالسياق ومن ثم ينتقل إلى ميدان التطبيق ليقف على نماذج اتضح دور السياق في الوصول إلى الدلالة وهي غاية أي تواصل بين طرفين.

الكلمات المفتاحية : السياق ، التواصل اللغوي

Context and its impact on linguistic communication

Assistant teacher, Nibras Ali Shayyal
Al-Qadisiyah University/College of Education for Girls
Nebraas.ali@qu.edu.iq

Abstract

This research deals with one of the aspects of the Arabic language, which is (context), which means what is determined in understanding meaning through its impact on the communicative process in its three pillars. It examines the components of context, both linguistic and non-linguistic, through research into the linguistic levels or the basic components of language and their relationship to context, and then He moves to the field of application to look at examples that demonstrate the role of context in reaching meaning, which is the goal of any communication between two parties.

Keywords: context, linguistic communication

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستيعنه وأزكى الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فإنّ البحث في التواصل اللغوي أمر مهم جداً خاصة أنّ التواصل اللغوي قد تطور كثيراً في السنين الأخيرة من حيث النظريات المتأخرة التي تفسّر اللغة وما يرتبط بها لذا فقد جاء هذا البحث محاولة في الكشف عن آليات نظرية السياق بفروع اللغة أو مستوياتها فكان هذا البحث محاولة في تأثيرا هذه الفروع في التواصل اللغوي ولعل من الجدير بالذكر الإشارة إلى البحث ارتضى تقسيم السياق على لغوي وغير لغوي جرياً مع المشهور في التقسيم وآثر جعل السياق على شكل واحد وهو (السياق اللغوي) كما قسّمه ستيفن أولمان؛ لأنّ هذا التقسيم أقرب للواقع اللغوي بلحاظ أنّ اللغة نظام من الإشارات يكون الصوت فيها عاملاً مهماً.

جاء البحث على مطالب ثلاثة الأول منها يتعلق بالمدخل للدراسة من خلال الوقوف على ماهيّة السياق ومفهومة، ومن ثم جاء المبحث الثاني على تنوعات السياق بين السياق اللغوي وغير اللغوي والقول فيه بين المحدثين والقدماء، وقد جاء المطلب الثالث بمحاولة تطبيقية لمفهوم السياق وأثره على التواصل اللغوي أو على فهم الدلالة العامّة للسياق، وقد اختتم البحث بمظان أو نتائج تتضمن ما توصل إليه البحث.

أقول: هذا جهد المقلّة وهو محاولة في الفهم والتقصي فما كان فيه من خير فهو من الله ومعونته، وما كان فيه من زلل فهو من الباحثة والكمال لله سبحانه.
والحمد لله أولا وآخرا.

المطلب الأول/**مِهاد في مفهوم السياق وما يتصل به:**

مفتاح أيّ مجال معرفي ما يتصل بمقدمة هذا المجال والموصلات إليه وأهمّها (المصطلح) وما يجاوره فهو ضرورة ملحّة في تبيان القراءات المقدّمة.

السياق مصدر الفعل (ساق) فمادة (س و ق) متعلّقة أكثر بمعنى النسق والتضام و"ساق الماشية يسوقها سوقا وسياقا، فهو سائق وسوّقٌ شدد للمبالغة"[1]، وإلى المعنى ذاته ذهب ابن منظور(ت711هـ)[2]، إذ لم يذكر المعجميون ابتداء من الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175ه) سياق الكلام أو ما يتصل به وأول من تنبّه لهذا الأمر جار الله الزمخشري إذ ذكر مادة (سوق) فبيّن الدلالة الهامشية أو الثانوية لها ومن ذلك"يساق الحديث، وهذا الكلام سياقه كذا"[3]، أمّا في الاصطلاح فالسياق يعني التوالي أي:توالي العناصر المكوّنة للنص، أو توالي الأحداث التي واكب الأداء الكلامي[4].

تباين العلماء العرب بحسب مجالاتهم المعرفية في الوقوف على مفهوم السياق فهو عند الأصوليين محل وقف واعتداد إذ لجأوا إلى رصد المعنى من خلال جعل المستويات اللغوية جميعها حاضرة في سياقاتها المواءمة وعلى ذلك يقول ابن القيم الجوزية:" السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظراته"[5]، وعلى هذا النحو سار معظم الأصوليين في نظرتهم للسياق بوصفه المحكِّم في معرفة المعنى والدلالة المرادة.

وفي الاصطلاح يكاد السياق ينحصر في معان ثلاث أولها (الغرض) أي المرد والمقصود من الكلام، يبين ذلك السرخسي:"القرينة التي تقترن باللفظ من المتكلم وتكون فرقا فيما بين النص والظاهر هي السياق بمعنى **الغرض** الذي سيق لأجله الكلام"[6] وعلى هذا الأمر أكد السلجماسي بأن السياق "ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول"[7]، وقد يراد به **(الظرف أو الموقف)** والمقصود به الملابسات الخارجية لأي نص وتختصرها عبارة اللغويين(**سياق الحال**) أو (المقام)، والمعنى الثالث هو ما يعرف بـ(**السياق اللغوي**) .

المطلب الثاني: السياق اللغوي(قراءة في المفهوم والأقسام)

أولى القدماء السياق اللغوي عناية فائقة في مدوناتهم التي وصلت إلينا وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ) الذي أشار إلى عنايته بالسياق اللغوي تلميذُه سيبويه(ت180ه) في (الكتاب) في مواطن كثيرة ومن ثمّ فإنّ سيبويه يعدّ من أكثر النحويين القدماء اهتماماً بالسياق، إذ جعل السياق اللغوي قرينة معينة في التحليل اللغوي من ضمن قرائن عدّة تعين في استقراء الدلالة التي تتوخى من التراكيب ولتكن(ما) مثالاً على اهتمام سيبويه بالسياق اللغوي في تحديد دلالتها فالموصولة مثلاً إنّما وضعها سيبويه في باب(ما يكون الاسم فيه بمنزلة الذي في المعرفة) إذ لجأ إلى إبدال عنصر أو مكون نحوي بدل آخر ليعرض تعالق المكونات النحوية مع بعضها في التركيب الواحد وعلى ذلك قوله تعالى ((مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ))النحل/96، فالاستبدال بين (ما) الموصولة بالاسم الموصول(الذي) يتساوق مع التركيب فلا يختل المعنى مع هذا الاستبدال وإنما عدم الاختلال قرينة على تعالق المكونات النحوية مع بعضها بالاعتماد على السياق اللغوي القابل لهذا الاستبدال، قال سيبويه:" باب ما يكون الاسم فيه بمنزلة الذي في المعرفة[إذا بُني على ما قبله، وبمنزلته في الاحتياج إلى الحشو، ويكون نكرة بمنزلة رجل .وذلك قولك : هذا مَن أعرف منطلقا، وهذا مَن لا أعرف منطلقا، أي هذا الذي علمتُ أني لا أعرفه منطلقا. وهذا ما عندي مَهيناً، وأعرف ولا أعرف وعندي حشوٌ لهما يتمان به، فيصيران اسما كما كان الذي لا يتم إلا بحشوه."[8]

تظهر فكرة تعالق المكونات النحوية والدلالة المفادة من هذا التعالق في ما جاء به عبد القاهر الجرجاني ونظرية (النظم) التي تعد مثالاً واضحاً على أنّ المكون النحوي لا يفيد فائدته المرجوّة إلّا بتعالقه وارتباطه بما قبله أو بما بعده من المكونات الأخرى.

أمّا المحدثون فقد توسعوا في تأطير نظرية السياق إلى أنّ جعلوها في أقسام عدّة وعلى النحو الآتي:

أولاً:السياق الصوتيّ

يتمثل هذا النوع من السياقات من خلال" النظم اللفظي للصوت في إطار الأصوات الأخرى على مستوى الكلمة أو الجملة والتحليل الفونولوجي يوضح لنا طبيعة هذا السياق وحدوده"[9] إذ يرتكز هذا القسم من أقسام السياقي عى (الفونيم) بوصفه محدداً دلالياً يقوم عليه معرفة الفوارق بين المكونات للكلمة الواحدة على نحو(هام – نام –قال –قام)فالفونيم في كل لمة منها يحدد الدلالة الفارقة عن غيره إلّا أنّ الوظيفة الصوتية هذه لا تعد وظيفة قائمة في نفسها بل تتجلى من خلال تعالقها مع غيرها من المكونات الصوتية(الفونيمات) لذا فقد فهم العرب(المستعملون للغة) أنّ الفونيم إنّما تكمن وظيفته في التشارك مع غيره في السياق الواحد لذا فيمكن حذف همزة الاستفهام إذا عَلِم المخاطب بوجودها[10].

ثانياً:السياق الصرفي

ينضوي تحت هذا النوع من السياق ما عبّر عنه الصرفيون(الصيغة) فضلا عن دلالة الزوائد من اللواحق أو السوابق، وهذه الزوائد أو البنى لا قيمة لها ما لم تحدد في سياق معين يضمن لها الدلالة أو بمعنى أدق يضمن لها الفائدة إذ"المورفيمات لا فائدة منها دلالة أو بمعنى أدق يضمن لها الفائدة إذ"المورفيمات سواء حرة أو مقيدة أو محايدة لا فائدة منها إلا إذا كانت ضمن سياق تركيبي معين ومثلها أحرف المضارعة وسواها فالبناء الصرفي يقود إلى دقة الانتساب لكن هذا خارج نطاق السياق الصرفي الذي يتكون من المورفيمات وهي تمارس وظيفتها داخل النص"[11].

إنّ الوحدات الصرفية لا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال؛ ذلك أنّ الوحدة الصرفية لها أثر بالغ في الدلالة فالمعنى الصرفي يتأتى من قابلية البنية الصرفية على الحمولة الدلالية التي التصقت بها وأقام العرب كلامهم عليها على نحو ما تفيده صيغتي(فعّل)، و(أفعل) فكلاهما جاءا لمعنى الزيادة في التركيب إلّا أنّ العرب لا يمكن بأن يكون استعمالهما عندهم بمعنى واحدة لأن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى واتساع فيه.

ثالثاً:السياق النحويّ

يكاد هذا السياق يكون الميدان الحقيقي لمكونات أي تركيب (صوتية- صرفية) فهذا المكونات إنّما تبرز قيمتها الدلالية من خلال ما تأتلف معه من المكونات الأخرى.

يمكن الركون إلى تعريف د.عبد القادر عبد الجليل للسياق النحوي بأنّه"شبكة من العلاقات القواعدية تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص فيما تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية مثل(الإعراب) مثل(الإعراب) وهي قرينة سياقية تتعاون جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية وقد عده القدامى أصلا وأساسا لبيان الدلالة وأنه كل النحو والقرينة السياقية الكبرى"[12].

تقوم دراسة هذا النوع من السياق من خلال إنعام النظر في الترتيب المكوناتي للكلمة بوصفها مكونا للتركيب مجاورة مع الأصوات ومن ثم دراسة ما يعتري هذا المكون من تقديم أو تأخير، وكذلك النظر في رصف هذه الكلمات مع ما يجاورها من مكونات التركيب على نحو دراسة التوافق أو المخالفة بين المكونات النحوية في التركيب الواحد، ودراسة ما يعتري هذه المكونات من إعراب أو بناء [13] .

رابعاً:السياق المعجمي

تحتفظ كل كلمة بحقها في معنى خاص أو بجذر دلالي يمكن الاحتكام إليه في السياقات الملبسة وقد مارس اللغويون القدامى هذا الجانب في تحليلاتهم اللغوية، فالبحث في أي دلالة لأي كلمة لا ينفك عن أي يكون بالدلالة الأصلية[14]، أو هي المعنى المركزي[15] أو الأساسي[16]، أو الأولي أو التصوري أو المفهومي، أو الإدراكي[17].

إن نظرة فاحصة في التراث العربي يظهر بما لا يدع مجالا للشك اهتمام القدماء بالمعجم ودلالة الكلمة في المستوى المعجمي إذ أفرد سيبويه(ت180هـ) في كتابه بابا أسماه(هذا باب اللفظ للمعاني) تناول فيه اختلاف اللفظين اختلاف المعنيين وهو (المختلف)، واختلاف اللفظين والمعنى واحد وهو(المترادف)، واتفاق اللفظين لاختلاف المعنيين وهو (المشترك اللفظي)[18] وهذه الأقسام يقوم عليها فهم التركيب

النحوي إذ تعد الدلالة المعجمية بوابة الدخول إلى فهم علاقة التركيب بما يجاوره من خلال معرفة المعنى الأصل الموضوع للمفردة.

أمّا ابن هشام فقد تنبّه إلى أهمية معرفة الدلالة المعجمية إذ أوجب على أي معرب أن يكون عارفا بمعاني التراكيب الأصل من خلال معرفة الدلالة المعجمية للمفردات التي كوّنت التركيب، قال"وأول واجب على المعرب أن يفهم ما يعربه مفردا أو مركبا"[19].

تخضع الكلمة إلى حاكمين مهمين الأول حاكمية الدلالة الأصل وهي الدلالة المعجمية والتي يكون استعمال الكلمة في ضوء المعنى الأصل استعمالا غير متجاوز حدود المعنى الحقيقي، والثاني حاكمية الاستعمال اللغوي وهو أمر يخضع لزمان الاستعمال ومكانه، إذ لكل مجتمع لغوي عاداته وتقاليده اللغوية وهي تختلف من مجتمع لآخر وقد تختلف من زمن لآخر في المجتمع نفسه.

يعدّ الاستعمال واحدا من أهم عوامل تطور الدلالة لأي مفردة في اللغة العربية؛ ذلك أنّ الألفاظ لم تخلق لتحبس في خزائن من الزجاج أو البلور، فيراها الناس من وراء تلك الخزائن ثم يكتفون بتلك الرؤيا، ولو أنها كذلك لبقيت على حالها جيلا بعد جيل دون تغير أو تحول ولكنه وجدت ليتداولها الناس وليتبادلوا بها في حياتهم الاجتماعية كما يتبادلون بالعملات والسلع"[20].

يمكن القول إن الاستعمال محكوم بالظروف الاجتماعية لأي مجتمع لغوي إذ قد يلجأ مجتمع معين لاستعمال خاص لأي كلمة بينما يتغير هذا الاستعمال من حيث الدلالة أو اللفظ في مجتمع آخر أو في المجتمع نفسه مع مرور الزمن أو بتغير المكان، ولذلك فإن لكل مجتمع قياس خاص به أو بتعبير الدكتور تمام حسان له(مستوى صوابي) وهذا المستوى الصوابي يتأتى من (الصوغ القياسي) والذي يعني به اتباع تقاليد المجتمع اللغوي نفسه في المكان والزمان المعينين[21].

انطلق د.تمّام حسّان من (اجتماعية) اللغة في بيان موقف (المتكلّم) من اللغة فشبهها بالأمور الحياتيّة التي ينبغي للمتكلّم أن يراعيها، ولرب سائل يسأل ما الغاية التي يتوخاها المتكلم في حالة مراعاته للضوابط التي يضعها المجتمع ؟ يقع الجواب في خشية (النبذ)، أو بمعنى أدق (المجافاة) التواصليّة، وهي الحالة التي عبر عنها د.تمّام حسّان (**بالعزلة الاجتماعيّة**) فاللغة، في رأي د. تمّام، تصل لمرحلة (الخطورة) التي تعزل الفرد عن المجتمع " على أنَّ خطر اللغة في حياة الفرد لا يقل عن خطرها في حياة المجتمع، إذ هي الأداة الوحيدة التي تمكّن الفرد من الدخول في نطاق المجتمع الذي يعيش فيه"[22].

وفي المعيار نفسه الذي انطلق منه د.تمّام حسّان ،من ربط اللغة بالحالة الاجتماعيّة، انتقل في حديثه ليبرز لنا أثر(المراعاة) في النظم اللغويّة (المعهودة) في مجتمع معين على علاقة الفرد مع ذاته على نحو خاص فذهب في ذلك مذهب (ماكس مولر) و الذي ترجم د. تمام حسان كتابه (اللغة والمجتمع) من فرض أنَّ التفكير يجري باستعمال الكلمات وهي من دون شك ضمن نطاق الاستعمال المجتمعي ، على هذا الفرض تكون اللغة أداة التفكير بمعنى أن (المراعاة) التي تُفرض على المتكلم تقيه من القطيعة بينه وبين التفكير الداخليّ مع نفسه، وعلى وفق هذا القيد ألزم د.تمّام حسّان المتكلّمَ بما أسماها (**العرفية**) والتي تعني مراعاة الاستعمال اللغويّ في لغة مجتمع معين في (أصواتها)، و(أبنيتها)، و(تراكيبها)، وقد أطلق د.تمّام على نموذج (المراعاة) (**المستوى الصوابي الاجتماعي**) [23].

المطلب الثاني: السياق غير اللغوي

يتمثّل هذا الجانب من السياق بما يجاور النص أو بما يجاور المتكلم أو المخاطَب من أبعاد ثقافية أو اجتماعية أو نفسية لذا فقد عدّ الدكتور تمام حسّان فهم النص على نحو دقيق لا يخلو من فهم ما يجاور النص نفسه من ملابسات تاريخية وثقافية ونفسية حتّى [24].

تعددت المصطلحات التي تشير إلى السياق غير اللغوي على نحو(المسرح اللغوي)، أو(سياق الحال)، أو (المقام)، أو(المجريات)، ولكنها جميعا لا تخرج عن دلالة سياق النص[25].

إنّ البحث في المدونة العربية عن فكرة السياق غير اللغوي بحث ثرّ لثراء المدونات العربية التي ملئت بمراعاة المقام والسياق، وعلى اختلاف العلوم التي عنيت بهذه الفكرة فعلى مستوى التفسير اهتم المفسرون بفكرة ما يجاور الآيات القرآنية من أسباب النزول وعدّوها موجّها فاعلاً في فهم المراد من النص الشريف، وكذا الحال عند البلاغيين وإفادتهم من فكرة(المقام) وعبارة الجاحظ(لكل مقام مقال) ما تزال ترّن في أذن الدارسين.

أمّا اللغويون فقد كانت عنايتهم بفكرة السياق غير اللغوي عناية قديمة قدم أول مدون لغوي وصلنا(الكتاب) فقد اهتم سيبويه اهتماما بالغاً بفكرة مراعاة حال المتكلم "فالمعروف أنّ اللغة أداة اتصال بين أفراد مجتمع يتكلمها وغايتها هي الإبلاغ بوضوح عن خبر ما أو شرط أو طلب أو إفصاح عن إحساس بعينه يحس به المتكلم"[26].

يظهر ذلك في ترك أجزاء من الكلام في أسلوب الحذف لعلم المخاطب بها[27]، وإلى ذلك أشار ابن جني في قوله:"إن لم يفهم عنك وأردت إفهام المخاطب إيّاه لم تجد بدّا من البيان"[28] وتتضح فكرة السياق غير اللغوي بشكل جلي في مقولته التي أعدها ملمحا مهما ينبغي على أي دارس لمحيط اللغة أن يبتدئ به إذ يقول:"أنا لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة"[29]، وقولته"رب إشارة أبلغ من عبارة"[30].

إنّ هذه الإشارات وغيرها في تراثنا اللغوي كثيرة لا يتسع المقام لها بشكل مفصل ولكن يمكن القول:إن القدماء قد تنبهوا منذ بواكير البحث اللغوي إلى أهمية ما يجاور اللغة في فهم النصوص ابتداء بالنص المقدس وصولا إلى نصوص الشعر والنثر.

ثانيا:أقسام السياق غير اللغوي

-السياق العاطفي

تحدد بعض الألفاظ السياق العاطفي للمتلكم أو المخاطب من خلال قصدية العبارة "فعندما نقول:فلان جبان أو إنه يخاف فإن المعنى في الحالتين يتضمن صفة الخوف أو الجبن لكن لجملة الأولى تحمل في طياتها درجة من الاحتقار أو الإهانة درجة من الاحتقار أو الإهانة أشد مما يحتمله المعنى من الجملة الثانية"[31]

-سياق الموقف

تخضع المفردة في اللغة إلى بعدين البعد الأول المعنى الأصل، والثاني الموقف الذي تقال فيه والذي لا يقل أمية إن لم أقل إنّه أكثر أهمية من المعنى الأصل في توجيه المفردة نحو الدلالة التي تراد فقولة(السلام عليكم) معروفة بسياقها الديني وأنّها تحية إسلامية ولكنّها قد تتحول إلى دلالة مغايرة حين يحتدم النقاش بين اثنين فيقول أحدهما للثاني: (السلام عليكم) معلنا نهاية الحوار والنقاش وهذه الدلالة المكتسبة للعبارة إنّما دفعها إليها المقام الذي قيلت فيه [32]

-السياق الثقافي

البيئة اللغوية ببعديها المكاني والزماني معيار مهم في فهم الدلالة المرادة لأي مكون لغوي فالوحدات اللغوية تتغير من بيئة لبيئة أخرى وهذا الأمر نجده بشكل كبير في اللهجات العربية التي تتنوع ثقافيا في استعمالات اللغة فكلمة(جذر) مثلا تحمل بعداً دلالياً عند الفلاح أو المزارع ولكنها عند المشتغل بالرياضيات تحمل بعداً آخر [33] أمّا ما ذهب إليه الدكتور محمود فهمي حجازي من أنّ للسياق اللغوي جانبا آخر هو الجانب الاجتماعي[34] فأحسب أنّه لا يخرج عن الجانب الثقافي مهما توسع الحديث فيه.

المطلب الثالث:فاعلية السياق في التواصل

ثمّة محددات تعين على فهم أيّ عملية تواصليّة منها ما يتعلق بالمرسل، منها ما يتعلق بالرسالة نفسها، ومنها ما يتعلق المرسل إليه _بوصفهم عناصر التواصل اللغوي الأساس_ وقد تخرج هذه المحددات إلى ما هو أبعد من ذلك فتكون متعلقة بظروف إنتاج العملية التخاطبية فكان لزاماً أن يبحث السياق بوصفه متعلّقا بعناصر إنتاج العملية التواصليّة، أو على أنّه يمثل العالم الخارجي الذي تتم به العملية التواصليّة.

قد يكون السياق معيناً لفهم كثير من الظواهر اللغوية التي يكون السياق محكّماً مهماً في تلقي تراكيبها ومن ذلك أن يعين على فهم العلاقات الداخلية للتركيب على نحو قوله تعالى ((وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ))[35] إذ يظهر من الآية الكريمة أنّ العملية التواصليّة قد تمّت بين يعقوب النبي(ع) وبين أبنائه في حادثة معروفة إلّا أنّ أنسنة الجماد وتوجيه الخطاب نحوه قد يبطل بلحاظ السياق فلا يمكن أن يكون السؤال للقرية على ما هي عليه من جمود وعدم تعقّل ولا ينتظر من جماد الجواب فهذا السياق الحالي قد يبعد هذا الفهم إلى ضرورة محذوف وهو (أهل) أي (اسأل أهل القرية)؛ لأن التركيب من جهة العلاقات بينه في صورته الظاهرية (السطحية) لا يشكل خرقاً إذ يمكن إعراب

(القرية على أنها) مفعول به أمّا بتقدير (أهل) فإنّ تأثير أو عمل الفعل (اسأل) يكون في (أهل) وهو أليق للدلالة منها في الحالة السابقة.

إنّ هذا التحول في فهم جهة الخطاب القرآني من أن يكون خطاباً موجّها لجماد إلى خطاب موجه لعاقل إنّما بتوجيه من السياق الحالي أو المقاميّ الذي جيء به في الآية الكريمة .

ومن دلالة السياق ما ورد في قوله تعالى ((قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى))[36] ذهب كثير من المفسرين واللغويين إلى ما يسمى بـ(ظاهرة التضمين) والمراد منها أن يتضمن فعل معنى فعل آخر، وأو يتضمن حرف معنى حرف آخر وما يدفع اللغويين إلى هذا المذهب أنّهم وجدوا أنّ بعض الأفعال قد جرت في غير مجراها على نحو قول سيبويه ((ذهبتُ الشامَ) إلى أن يكون ثمة محذوف في النصّ مفاده (ذهبت إلى الشام) لأن الفعل (ذهب) لا يتعدى بنفسه إلا بتوسط حرف [37] فكان لزاماً أ يقدّر حرفاً، أو قد يكون الفعل (ذهب) قد اشتمل أو تضمن معنى فعل آخر هو (زرتُ) أو أي فعل يحقق (التعدية) من دون حرف والمعنى العام.

وإذا ما قسنا هذا الأمر على قوله تعالى ((وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)) فإن الحرف (في) قد تضمن معنى حرف آخر هو (على)، أو يكون الفعل (أصلبنكم) قد تضمن معنى فعل آخر يجعل مجيء(في) ها هنا أمراً ممكناً، وإنما حملهم على هذا الإجراء أنّ السياق الحالي أو المقامي يمنع أن يدخل الإنسان (في الجذوع) لأن الصلب إنّما يتم على الجذع لا فيه وهو لحظ سياقيّ.

أمّا في لغة التداول فإنّ السياق فاعل مهم في توجيه أي دلالة وربما أنجز فعل بغير لفظه بلحاظ السياق ودليل على ذلك ما يمثل له التداوليون اليوم من أنّ معلماً دخل الصف فقال: الجو حارّ، فهذا إخبار بحرارة الجو إلّا أنّ المراد فعل إنشائي أي (فعل أمر) بغير ما وضع له من ألفاظ فالمراد: (افتحوا النوافذ)، أو (افتحوا أجهزة التبريد) وكلها أفعل فهمت بلحاظ السياق الحالي للحظة القول، وكذلك باعتبار علاقة القول بقائله أو مستعمله سواء المكلم أم المخاطب.

الخاتمة

- السياق بمعناه اللغوي لا يخرج كثيراً عن معناه الاصطلاحي من أنّ المبين أو الموضح للأشياء.
- عرف العلماء العرب القدماء السياق وازدادت عنايتهم به في المجالات المعرفية المتنوعة على نحو الأصول والفقه والتفسير والكلام والنحو.
- يتنوع السياق على نوعين أحدهما معني بتعالق المكونات اللغوية داخل التركيب الواحد وهو (السياق اللغوي)، والآخر معني بما يجاور اللغة من ملابسات و(السياق غير اللغوي).
- يتوزع السياق اللغوي على مستويات اللغة (الصوت-الصرف-النحو– المعجم).
- ينقسم السياق غير اللغوي على أقسام (الثقافي-الاجتماعي-الموقف-العاطفي).
- يتعلق التواصل اللغوي بفهم الدلالة العامة للنصّ ومن ثم فهم الدلالة الخاصة أو المراد من أي نصّ وهذا الأخير لا يتحقق ما لم يتم فهم سياقه ومسرحه اللغوي.

الهوامش

(1) تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري:1499 مادة (سوق)

(2) ينظر:لسان العرب، ابن منظور:2154/3 مادة (سوق)

(3) أساس البلاغة، الزمخشري:314.

(4) ينظر:مقالات في اللغة والأدب، د.تمام حسان:65/2.

(5) بدائع الفوائد،ابن القيم الجوزية:217.

(6) أصول السرخسي،السرخسي:188.

(7) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد السجلماسي:188.

(8) ينظر:الكتاب،سيبويه:105/2.

(9) النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين،النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين،عبد النعيم خليل:38.

(10) علم اللسانيات الحديثة،عبد القادر عبد الجليل:علم اللسانيات الحديثة،عبد القادر عبد الجليل:543-544.

(11) المصدر نفسه:546.

(12)علم اللسانيات الحديثة:556.

(13) ينظر:النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين:69.

(14) ينظر:معالم الدلالة اللغوية في القرن الثالث الهجري على مستوى الكلمة المفردة، أبراهيم عبد الله الغامدي:46، (رسالة ماجستير)

(15) ينظر:السياق في الدراسات البلاغية الأصولية، دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق، أسامة عبد العزيز جاب الله:54.

(16) ينظر:دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس:104.

(17) علم الدلالة، د.أحمد مختار عمر:36.

(18) ينظر:الكتاب،سيبويه:24/1.

(19) مغني اللبيب،ابن هشام:605/2.

(20) دلالة الألفاظ:134،

(21) ينظر:اللغة بين المعيارية والوصفية،د.تمام حسان:22.

(22) المصدر نفسه:17.

(23) ينظر:المصدر نفسه:20.

(24) ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها،د.تمام حسان:337

(25) ينظر:علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات، يحيى عبابنة، وآمنة الزغبي:37.

(26) الخلاصة النحوية،د.تمام حسان:17

(27) ينظر:الكتاب:253/1، و:تعاشيب لسانية،د.لطيف حاتم الزاملي:40.

(28) الخصائص،ابن جني : 2/ 452

(29) الخصائص:248/1.

(30) المصدر نفسه:81/1.

(31) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس:31.

([32]) ينظر:العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داود:200.

([33]) ينظر:علم اللسانيات الحديثة:553.

([34]) ينظر:مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي:161-162.

[35]()يوسف:81

[36]()طه:70

[37]()ينظر:الكتاب، سيبويه:

قائمة المصادر

القرآن الكريم

- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري،تحقيق:محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ط1، 1998.
- أصول السرخسي،محمد بن أحمد السرخسي،تحقيق:أبو الوفا الأفغاني،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1، 1414هـ.
- تعاشيب لسانية،د.لطيف حاتم الزاملي،دار كنوز المعرفة،الأردن،عمان،ط1، 2022.
- الخصائص،ابن جني،تحقيق:محمد علي النجار،دار الهدى،بيروت،لبنان،ط2.
- الخلاصة النّحوية ، د. تمّام حسّان ، ط1 القاهرة مطابع دار الأمين ، 1420 هـ ـ 2000 م
- دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس،مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
- السياق في الدراسات البلاغية الأصولية، دراسة تحليلية في ضوء نظرية السياق، أسامة عبد العزيز جاب الله، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري(393ه) ، راجعه واعتنى به : محمد محمد تامر ، أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة ،1430هـ- 2009 م.
- الصوت اللغوي في القرآن للدكتور محمد حسين علي الصغير(استاذ الدراسات القرآنية في جامعة الكوفة)،دار المؤرخ العربي ،بيروت- لبنان- الطبعة الأولى :1420هـ-2000م.
- العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داود،دار غريب، القاهرة،مصر، ط1.
- العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داود،دار غريب، القاهرة،مصر، ط1، 2001.
- علم الدلالة، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط5، القار، مصر.
- علم اللسانيات الحديثة، د.عبد القادر عبد الجليل،دار الصفاء، عمان، الأردن،ط1، 2002.
- علم اللغة المعاصر مقدمات، وتطبيقات،يحيى عبابنة، وآمنة الزعبي، دار الكتاب الثقافي، أربد،الأردن،ط1، 2005.
- الكتاب،سيبويه،تحقيق:عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي،مصر،ط3، 1988.
- لسان العرب،ابن منظور،دار صادر، بيروت، لبنان،ط1، 1997.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، دار الثّقافة، الدار البيضاء المغرب 1994م ، د ط.
- اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمّام حسّان ، ط4،عالم الكتب، القاهرة 1421 هـ ـ 2001 م .
- مدخل إلى علم اللغة،محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة، مصر،1998.
- معالم الدلالة اللغوية في القرن الثالث الهجري على مستوى الكلمة المفردة، أبراهيم عبد الله الغامدي،جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،1989م، رسالة ماجستير منشورة.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت:761هـ)، حققه وخرج شواهده: د. مازن المبارك ، ومحمّد علي حمد الله ، راجعه: سعيد الأفغاني ، د ط ، د ت.
- مقالات في اللغة والأدب، د. تمّام حسّان، ط1،عالم الكتب ،القاهرة ، 2006 م
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د.محمد محمد يونس،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،لبنان،ط1، 2004.
- المنتزع البديع في تجنيس أساليب البديع،أبو محمد القاسم الأنصاري،السجلماسي،تحقيق:علال الغازي،مكتبة المعارف،ط1، 1401هـ.
- نتائج الفكر في النّحو، أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله السّهيلي (ت:581) حققه وعلق عليه: عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمّد معوّض، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م .
- النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين،عبد النعيم خليل،دار الوفاء،الإسكندرية،مصر،ط1، 2007.2007.